14 me Année No. 659

Lundi —18—2—194

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
رسالة بشارع السلطان حسين
٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٦٥٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٥ — ١٨ فبراير سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

حمام الحرم

الأستاذ عباس محمود العقاد

أشرت فى مقالى السابق عن الرحلة الحجازية إلى حمام الحرم ، عن أعجب ما سمعته ورأيته من شأنه « إنه يطوف حول عبة ولا يعلو عليها فرادى ولا جماعات » .

« وقد سمعت بهذه الخاصة فى حمام البيت قبل أن أراه ، فلما ، فى طواف العمرة وطواف الوداع تحريت أن أتعقبه فى كل ب من مذاهب مطاره فإذا هو كما سمعت يطوف ولا يتعدى ب إلى العبور » .

وهذه خاصة لابد لها من سبب مفهوم ، ولابد من استقصائها بيع أحوالها قبل التيقن منها وقبل تعليلها بالخوارق التى بل التعليل ، فإن الذهن لا يقبل الخارقة إلا إذا ضاقت به الطبائع التى أودعها الله فى خلقه وتواترت بها المشاهدة فى الأحوال ، وبخاصة حين لا يكون هناك مقتضى من حكم ، ولا حكم العادة لامتناع الطيران فى فضاء الكعبة أو أى ، مقدس مصون ، ولا معابة على فضاء السماء فى كل مكان لق فيه الطيور أو تمر به الطائرات .

وقد شغلنى أن أتيقن أولا من تطابق الأقوال على اطراد هذه الظاهرة ، وأن أجرب حماما غير حمام الحرم لأرى كيف يطير إذا أطلق فى جوانب الكعبة وحده ، وأن أجرب طيراً غير الحمام من القمارى أو العصافير أو فصائل الحمام ، لأن الجوارح قد يصرفها النظر إلى فرائسها عن تحقيق التجربة بما يفيد الحرية فى اختيار جو الطيران ، وخطر لى قول الطائى :

يسقط الطير حيث يلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء

ولكن الطير يسقط حيث يلتقط الحب ولا يقصر طيرانه على مواضع التقاطه ، فإذا كان حمام البيت قد تعود أن يلتقط غذاءه فى الماشى التى حول الكعبة فليس ثمة ما يمنعه إذا صعد فى الجو أن يتجاوز تلك الماشى إلى ما جاورها ، وهو قريب من قريب .

وأوصيت بعض رفاقنا أن يرقبوا هذه الظاهرة فى زياراتهم المتعددة ، وهم يزورون البيت متفرقين حسب النوبة التى يفرغون فيها من العمل فى اليخت أو فى الطوافتين . فلما عادوا جميعاً كفيت مؤنة التجربة أو التجارب الكثيرة التى كان لا بد لنا منها قبل التيقن من تلك الظاهرة وتعليلها بما يكشفها على جليتها ، لأن ثلاثة منهم اتفقوا على أنهم شاهدوا الحمام يطير أحياناً فوق الكعبة وإن لم يكن ذلك مطرداً فى جميع الأوقات ، وممن شاهدوا ذلك إمام اليخت الملكى المحروسة وهو شاب مهذب أديب حسن المعرفة بالدين حسن التفسير لأحكامه وفروضه ، فانه قال إن الحمام يطير فوق الكعبة ولكنهم يلحظون فيما يطير منه عليها شيئاً من الضعف والانكسار ، كأنه مريض يلتمس

الشفاء ببركة العبور على ذلك المقام ، وهذا وحده يبطل ما ذهبوا إليه من تلك الملاحظة ... لأن طالب البركة لا يلتمسها بما يخالف حرمة المكان فيما جرى عليه عرفه أو عرف بداهته الفطرية ، فان كان طير البيت يتجنب الطيران فوق الكعبة تقديساً لها كما يتخيلون فليس من شأنه أن يلتمس البركة بما يخالف التقديس .

وقد أصبحت الظاهرة معقولة بعد ما سمعته من تلك المشاهدات بغير خارقة أو التجاء إلى إغراب .

حتى ندرة الطيران فوق الكعبة لا تستعصى على التفسير الموافق للعادات والمشاهدات ، فان الحمام الأليف يجتمع إلى أسرابه فى ملاقط الحب ، ولكنه لا يطير أسراباً أسراباً كالفصائل البرية من نوعه حين تهاجر من مكان إلى مكان . فاذا جاوز الحمام الأليف مساقط أسرابه فانما يطير زوجين زوجين أو فرداً فرداً فى التماس أليفه الذى يغيب عن نظره وسط الأسراب ، وهذه العادة خليقة بأن تفسر لنا ندرة الطيران على بعد من المواشى التى يتجمع فيها الحمام كما تفسر لنا بطء حركة الطائر الذى يخرج على الطريق فى بحثه واستطلاعه ، لأنه لا ينوى الطيران إلى بعيد حيث يعبر فضاء الكعبة لينظر حواليها إلى أليفه المفقود .

على أن جمال المعنى الذى يتمثل فى حمام الحرم لا ينقص ذرة بطيرانه هنا أو طيرانه هناك ، لأن معناه الجميل هو الأمن فى حماية الايمان لا فى حماية الحراس أو حماية الأبراج والسدود . فهذا أضعف الطير يراه الجائع والطامع ولا يمسه بسوء ، وهو يطمئن إلى هذا الأمن بطبعه وإن لم يفهمه بعقل فيه يفهم أمثال هذه الأمور ، فلا يجفل من الإنسان ولا تراه يطير منه إلا طيران الدلال واللعب لا طيران الفزع والاضطراب .

* * *

ولم يزل للحمام نصيب من القداسة أو الطهارة منذ آمن الناس بالدين على سنة الوثنية أو سنة التوحيد ، وكان هذا النصيب ينفعه حيناً ويجنى عليه فى أحايين ، فكان قربان الحمام مفضلا فى شريعة موسى على القرابين من سائر الطيور ، وكان الأغريق يتقربون إلى الزهرة ربة الحب عندهم بالحمام الأبيض أو باليمام وما إليه ، ولا يزال السحرة فى أيامنا يخدعون السذج بالحمامة البيضاء أو الحمامة السوداء ، ويتوسلون بالأولى فى استعطاف الملائكة والأرواح الكريمة ، وبالأخرى فى استعطاف الشياطين والأرواح الخبيثة ، بل لا يزال أناس من المعاصرين يعتقدون فى الحمام اعتقاد الأقدمين الذين زعموا أنه أقدر الطير على استجابة داعى العشق والغرام ، وأنه من ثم طعام صالح للأزواج وهدية صالحة فى الأعراس

والشعراء يضربون به المثل فى الوفاء والنقاء ، وبعضهم يسمى هديله بالبكاء لفرط الحنين إلى الالفاء والأحباء ، ويجارى الشعراء فى هذا الرأى بعض من كتب عنه من الطبيعيين والمشغولين بتسجيل عادات الطيور .

أما الصواب فهو ما قاله المرى حيث قال :

أبكت تلكم الحمامة أم غنت على فرع غصنها المياد

وهو أيضاً ما قاله حيث قال :

ظلم الحمامة فى الدنيا وإن حسبت
فى الصالحات كظلم الصقر والبازى

ويؤيد المعرى فى هذه الملاحظة هواة الحمام من العرب ، وأشهرهم مشنى بن زهير حيث يقول فيما رواه عنه الجاحظ فى كتاب الحيوان : « ... لم أر شيئاً قط فى رجل وامرأة إلا وقد رأيت مثله فى الذكر والأنثى من الحمام : رأيت حمامة لا تريد إلا ذكرها كالمرأة لا تريد إلا زوجها وسيدها ، ورأيت حمامة لا تمنع شيئاً من الذكورة كالمرأة لا تمنع يد لامس ، ورأيت الحمامة لا تزيف إلا بعد طرد شديد وكثرة طلب ، ورأيتها تزيف لأول ذكر يريدها ساعة يقصد إليها ... ورأيت حمامة لها زوج وهى تمكن ذكراً آخر لا تعدوه ... ورأيتها تزيف لغير ذكرها وذكرها يراها ، ورأيت الحمامة تقمط الحمام الذكور ورأيت الحمامة تقمط الحمامة ... » .

إلى آخر ما قال وهو صواب :

ولا ندرى هل ذم الحمام أو أثنى عليه حين قال إنه يشبه الناس فى أطواره ذكوره وأناثه . فقد يكون ذلك غاية الذم فى عرف قوم وغاية الثناء فى عرف آخرين !

* * *

ولسنا نختم هذا المقال قبل أن نستوفى سيرة الحمام كما عرضت

خلال الزيارة الحجازية إما بمكة أو خلال الطريق .

فقد كان الحمام ذات عشاء بعض صحاف المائدة على اليخت « المحروسه » أثناء عودته الأولى من جدة إلى السويس ، فعلمنا أن جلالة الملك عبد العزيز لا يأكل منه ولا من السمك على اختلافه إلا فى النادر القليل .

وأراد صاحب السعادة مراد محسن باشا أن يوفق بين رغبة الملك عنه ورأى بعض الفقهاء فى تحريمه ، فقال : إن أناساً من المتشددين يحرمون أكل الحمام الذى يربى فى بروج الحقول والغيطان

فصمت جلالة الملك وتردد ثم سأله : ولم يحرمونه ؟

قال مراد باشا : لأنهم يتركونه يأكل من مال غيرهم ولا يطعمونه من عندهم ، فحرمه أولئك الفقهاء كما يحرمون مال « الغير » المأخوذ بغير علم من أصحابه .

وكنا نحسب أن هذا التشدد مما يرتاح إليه فقهاء نجد لأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب منسوب إلى التشدد فيما يترخص فيه عامة الفقهاء .

ولكن جلالة الملك ظل على تردده والتفت إلى أخيه صاحب السمو عبد الله بن عبد الرحمن كمن يستفسر رأيه فى هذا التحريم .

فقال سمو الأمير : لاحرج فى أكله وما أرى وجهاً لتحريمه ولا قولا يعتد به فى ذلك ، وإنما حكمه حكم العصافير التى تأوى إلى أشجار الناس وتأكل من حيث أصابت الطعام .

فعرفنا شيئاً جديداً من مذاهب أهل نجد فى التحريم والتحليل ، فهم لا يأخذون بكل تشديد ولا يعزفون عن كل ترخيص ، وإن كانت لهم أقوال يخالفون بها جمهرة المتشددين والمترخصين .

وأطرف من هذا أن رئيساً من رؤساء الحكومة السعودية سأل الباشا : أهم يحرمون من الحمام الـ Pigeon أو الـ Dove turtle؟ لأن الأول يأوى إلى البيوت والثانى قلما يأوى إليها وإن عرفت الأمم القديمة استئناسه فى بعض البلدان .

فكان هذا السؤال مما لم يخطر على البال ، قبل الاستدلال على الحرام والحلال .

عباس محمود العقاد

فى إرشاد الأريب
إلى معرفة الأديب

الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٢٧ —

ج ١ ص ٢٦٨ : ومن شعر نفطويه :

الجد أنفع من عقل وتأديب ... إن الزمان ليأتى بالأعاجيب
كم من أديب يزال الدهر يقصده ... بالنائبات ذوات الكره والحوب
وامرىءٌ غير ذى دين ولا أدب ... ممعر بين تأهيل وترحيب
ما الرزق من حيلة يحتالها فطن ... لكنه من عطاء غير محسوب

وجاء فى الشرح : (كم من أديب يزال الخ) لا يزال حذفت لا كما فى كلام العرب أو هى يظل حرفت يزال والأول أوفق لوروده كثيراً . (وامرىءٌ غير ذى دين الخ) . لا يستقيم الوزن إلا إذا جعلت همزة امرىءٌ همزة قطع .

قلت : (كم من أديب يظل الدهر يقصده) يظل هى الرواية (وجاهل غير ذى دين ولا أدب) و (لا) لا تحذف قياساً إلا بعد قسم ، وقد شذ الحذف — كما قال ابن عقيل — دون القسم كقول الشاعر :

وأبرح ما أدام الله قومى ... بحمد الله منتطقا مجيدا[1]

أى صاحب نطاق (منطقة) وجلاد .

وحذف هذا النافى بعد القسم كثير بل أكثر من الكثير ، وقد بينت المصنفات فى علم العربية (أعنى النحو[2]) وفى أسرار العربية[3] ، وفى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامهم[4] ، وفى

(١) قلت : وشذ الحذف فى قول عمرو ذى الكلب من شعراء هذيل (ج ١ ص ٢٣٣ الطبعة الأوربية) :

فأبرح غازياً أهدى رعيلا ... أوام سواد طود ذى مجال
وبرح واحد واثنان صحبى ... وبوما فى أضاميم الرجال
وأبرح فى طوال الدهر حتى ... أتيم نساء بجيلة بالنعال

(النعال) ما ينتعل من الأرض يخرج منها .

(٢) سيبويه ١ ص ٢٩٣ ، شرح المفصل ٧ ص ١٠٩ .

(٣) أسرار العربية للأنبارى ١١٠ .

(٤) الصاحبى لابن فارس ص ١٧٥ ، فقه اللغة للثعالبي ٥٠٨ .